جامعة الأزهر

حولية كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بالشرقية

بلاغة الفاصلة في النظم القرآني

بين السياق والدلالة

إعداد

الدكتور/ بدر عبد العال حسين محمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

البريد الالكتروني

D.badr٦٩@hotmail.com

العدد الثالث

للعام ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فإن القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة الباقية الحية ، وما خلوده وبقاؤه وحياته إلا لأنه من كلام الواحد الأحد الحي الذي لا يموت ، له جلال من جلاله ، وقوة من قوته ، وبهاء من بهائه ، وجمال من جماله .

حارت العقول في فهم سره ، وتاهت القلوب في فيض نوره وجماله ، وما الفرق بينه وبين كلام البشر إلا كالفرق بين الله وسائر المخلوقين .

والقرآن الكريم بأسلوبه المعجز خارج عن الأساليب المعروفة ، ولم يستطع العرب مجاراة القرآن في أسلوبه البياني ، فهو معجز للجن والإنس ، وأن أساليب البيان العربي وجدت في القرآن على أعلى المستويات ، وأن كلمات القرآن وجمله متميزة يعرفها الإنسان إذا ما وضعت بين كلام البشر العادي .

والقرآن الكريم كما هو معجز في مضمونه ، فهو معجز في أسلوبه ، ومن أساليب القرآن المعجزة ، وتراكيبه المبدعة الكلمات التي تختم بها آياته ، وتسمى فواصل القرآن .

والتحدي والإعجاز قائم في النظم والتأليف والحروف والكلمات ، والجمل والفقرات ، فكان من عظم وجوه الإعجاز وأعمها وأتمها الإعجاز

البياني ، وذلك لأنك تجده في كل كلمة من كلمات القرآن ، ونلمس ذلك أكثر في الفاصلة القرآنية ، التي تعد مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني ، وقد تحدث أغلب العلماء ممن كتبوا في إعجاز القرآن الكريم أن الفاصلة القرآنية لها علاقة وثيقة بموضوع السورة بحيث لا يسد غيرها مسدها. (١)

واعتبر الطاهر بن عاشور الفاصلة القرآنية من جملة المقصود من الإعجاز ، لأنها ترجع إلى محسنات الكلام ، وهي من جوانب فصاحة الكلام ، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل ، لتقع في الأسماع ، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل ، كما تتأثر بالقوافي في الشعر ، وبالأسجاع في الكلام المسجوع . (٢)

والفاصلة القرآنية من المظاهر الصوتية التي تشكل لوحة جمالية تعطي النص القرآني ميزة الإعجاز في الأداء ، فهي لا تقف عند المستوى الصوتي والدلالي ، بل تتصل بمستويات أخرى كالمستوى النحوي والبلاغي ، وقد ساهمت الفواصل في اختيار الكلمات القرآنية التي تثري السياق ، وتقوي بنية القراءة القرآنية لإبراز جمال النص القرآني من منابعه اللغوية التي تكسبنا القدرة على التذوق ، وتوصلنا إلى صورة مثالية مقنعة لإدراك عظمة كتاب الله تعالى .

من أجل ذلك جعلت هذه الدراسة لإبراز الخصائص البلاغية للفاصلة القرآنية ، ومدى ملاءمتها لسياق الكلام ومقامه ، وتتممتها للغرض المقصود من الكلام ، ومدخلها في الإعجاز القرآني .

---

١) ينظر : المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ د/ محمد يوسف هاشم السيد ص ٥ .
٢) ينظر . تفسير التحرير والتنوير : ٣/ ٢٥٤ طبع : الدار التونسية للنشر .

والغرض من الدراسة أن نلمس فيها إيحاءات سامية تنبعث من عنصرين هما : سمو النص القرآني ، والمشاركة الوجدانية لدى المتلقي الذي يجد لمسات دقيقة ، ومنهجا منفردا يتجلى في الوضوح وصدق التصوير ، فالفاصلة حقيقة أدركها القدامى في اللغة ، وعرفوا قيمتها في تأدية وظيفتها الأدبية التي تكمن في كيفية النطق ، ووظيفتها الدلالية التي تتجلى في معرفة المعاني المتباينة .

واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة النصوص والشواهد والاستنباط منها .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة :

المقدمة : ذكرت فيها سبب اختياري لهذا الموضوع وأهدافه ومنهج البحث وخطته .

المطلب الأول : مفهوم الفاصلة ، والفرق بينها وبين السجع وآراء العلماء في السجع .

المطلب الثاني : الفاصلة القرآنية في دراسة القدماء والمحدثين وأنواع الفواصل القرآنية .

المطلب الثالث: تناسب الفاصلة القرآنية من الناحية الصوتية والدلالية مع السياق .

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث وتوصياته .

المطلب الأول

مفهوم الفاصلة القرآنية والفرق بينهاوبين السجع وآراء العلماء في السجع

أولا : مفهوم الفاصلة لغة واصطلاحا :

الفاصلة في اللغة من الفعل فصل وجمعها فواصل ، ومؤنثها الفاصلة ، وهي الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد ، والفصل : الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل أي انقطع ، والفصل : القضاء بين الحق والباطل . (١)

وأما تعريف الفاصلة اصطلاحا فقد عرفها الرماني بقوله : " الفواصل حروف متشابكة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني " (٢)

أما الزركشي فيرى بأنها كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع. (٣)

وقيل : الفاصلة الكلام المنفصل عما بعده ، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون ، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي ، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها . ويعنى برأس الآية : نهايتها التي توضع بعدها علامة

---

١) ينظر : لسان العرب مادة : (ف ص ل) ج ١١ ص١٨٩ .
٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ت / محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله أحمد ط : دار المعارف بالقاهرة ص ٩٧ .
٣) البرهان في علوم القرآن ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ج ١ ص ٥٣ ط دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦ه ١٩٥٧م .

الفصل بين آية وأخرى ، ولهذا قالوا : " كل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين ، لأن رأس كل آية يفصل بينها وبين ما بعدها "[1]

ويقول ابن الجوزي : " ويسمون أواخر الآي الفواصل ، والفواصل جمع فاصلة ، والفاصلة القرآنية : هي أخر كلمة في الآية وهي بمثابة السجعة في النثر ، وبمنزلة القافية في الشعر ، وسميت فاصلة ، لأنها فصلت بيت الآية التي قبلها ، والآية التي بعدها . ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تعالى :﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١، وقوله سبحانه : ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ فصلت: ٣

والشوكاني يعلل تأخير ما حقه التقديم في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾ العاديات:٦، إذ تقدير الآية : إن الإنسان كنود لربه ، فعدل عن ذلك رعاية للفواصل ، إذ أن الآيتين اللتين بعدها ، ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ

١) مباحث في علوم القرآن ، مناع بن خليل القطان ،ص ١٥٣ الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢١ه ٢٠٠٠ م .

لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾العاديات: ٧ – ٨ انتهيا بحرف الدال، فكان من المناسب تأخير ما حقه التقديم ، مراعاة للفاصلة "[١]

أما الدكتور فضل عباس فيقول : " يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية " [٢]

ثانيا : الفرق بين الفاصلة القرآنية والسجع :

إن من يتأمل الفاصلة القرآنية يجد فرقا كبيرا بينها وبين السجع في الشعر، وذهب الرماني في إعجاز القرآن والباقلاني إلى عدم وجود سجع في القرآن ، وفرقوا بين الفاصلة والسجع ، فالفاصلة بلاغة ، والسجع عيب ، يقول الدكتور تمام حسان : " إن من يتأمل الفاصلة القرآنية ، ليجد الفارق كبيرا بينها وبين قوافي الشعر ، ويمكن تلخيص الفوارق بينهما على النحو التالي :

_ تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف في آخر كل بيت من القصيدة ، أما الفاصلة فلا تلتزم شيئا من ذلك ، إذ تراها تجري في عدد من آيات السورة على نمط ، ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر .

_ في كثير من سور القرآن ، لا يلتزم شيء بعد الحرفين الواو أو الياء كما في سورة الحج ، فإذا قرأت هذه السورة مثلا ، وجدت فواصل الآيات لا

---

١) فتح القدير للشوكاني ٣٠ / ٢٩٦ .
٢) إعجاز القرآن الكريم ص٢٢٥ .

تحمل شبها أي شبه بالتقفية ، ولسنا نجد شيئا مما التزمته الفواصل القرآنية ، يصلح أن يكون قافية ، فالواو والميم في الشعر لا تقفو الياء" (١)

وعندما نتأمل قوله تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾النجم: ١٩ – ٢٢، نلمح أن غرابة اللفظة (ضيزى) أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها المولى – عز وجل - ، فضلا عن أنها وصفت حالة التهكم في إنكاره بهذين المدين من الأسفل إلى الأعلى أي من الكسر إلى الفتح ، فهي ليست قاصرة على الجمال اللفظي فقط ، وإنما جاءت لتخدم المعنى وتدعمه .

وأما في قوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ المائدة: ١١٨، فختمت ب (العزيز الحكيم) لأن العزيز : الغالب على أمره الذي لا يرد أمره ، والحكيم : من يضع الشيء في محله ، لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز الحكيم .

١) البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ص ٢٧٥ ، ٣٧٦ ط عالم الكتب القاهرة ١٩٩٣ م .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾الضحى: ٩ – ١١، عدل النظم القرآني عن مراعاة الفاصلة في ختم السورة بقوله (فحدث) ولم يقل : (فخبر) ليكون ذلك حديثا عنده لا ينساه ، ويعيده مرة بعد مرة .

ثالثا : آراء العلماء في السجع

انقسم العلماء في دعوى السجع بين مؤيد ومعارض :

القسم الأول : المعارضون لوجود السجع في القرآن الكريم ، وعلى رأسهم : الرماني والباقلاني ، فقد ارتبط هذا المنع عندهم بمفهوم خاص بالسجع ، لا يمكن أن يتحقق في القرآن الكريم ، وهو تبعية سجع الكهان ، لأن سجعهم يغلب عليه المعاني للألفاظ دائما ، ومن هذا المنطلق نفي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قول الأسجاع والكهان ، قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾الحاقة: ٤١ – ٤٣ ولذلك جاز أن يطلق على أواخر الآيات في القرآن الكريم فواصل ، ولم يجز أن يطلق عليها أسجاع .

وكما يرى الرماني : أن الفواصل لها بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها وهي الدلالة . (١)

رأي الباقلاني : بدأ حديثه ببيان رأي أصحابه الأشاعرة في نفي السجع عن القرآن الكريم ، ثم بيان موقف المخالفين له وحجتهم في ذلك والرد عليهم ، فذهب الباقلاني هو وأصحابه من الأشاعرة إلى نفي السجع عن القرآن الكريم ، وقال إن الشيخ أبا الحسن الأشعري ذكره في غير موضع من كتبه ، وذهب كثير ممن يخلفهم إلى إثبات السجع في القرآن الكريم ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالجناس والالتفات ونحوهما ، وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون – عليهما السلام – لمكان السجع قيل في موضع ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ طه: ٧٠ ، ولما كانت في موضع آخر بالواو والنون قال تعالى : ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾الأعراف: ١٢٢ ، قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر ، لأنه لا يجوز أن يقع في خطاب إلا مقصودا إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دور القدر الذي نسميه شعرا ، وأن ما جاء في القرآن الكريم من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .(٢)

---

١) ينظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٩٧ .
٢) ينظر : إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ، ت/ السيد أحمد صقر ، الناشر : دار المعارف مصر ط الخامسة ١٩٩٧ م ص ٢٧١..

القسم الثاني : القائلون بالسجع في القرآن الكريم ومن هؤلاء :

_ ابن سنان الخفاجي : حيث ذهب إلى وجود السجع في القرآن الكريم ، ورد على قول الرماني بقوله " وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما ورد في القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تنتهي حروفه سجعا ، رغبتهم في تنزيه القرآن الكريم عن الكلام المروي عن الكهنة تماثلوا غيرهم " وقال : " فإننا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه وعملنا بموجبه ، لأنه إنما دل على قبح ما يقع من السجع بتعمل وتكلف ، ونحن لم نستحسن ذلك النوع ، يوافقنا أيضا دليل من اختاره ، لأنه إنما دل على حسن ما ورد منه في كتاب الله والفصحاء من العرب ، وكان يحسن الكلام ويبين آثار الصناعة ، في كلام الله تعالى وكلام النبي ويجري مجرى القوافي المحمودة ، والذي يكون بهذه الصفات هو الذي حمدناه واخترناه وذكرنا أنه يكون سهلا غير مستكره ولا متكلف " [1]

_ ضياء الدين ابن الأثير : هو من أجاز السجع فقال : " وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به ، وإلا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم ، فقد جاء منه الكثير ، حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعا كسورة الرحمن وسورة القمر " [2]

وأرى أن تسمية ما ورد منه في القرآن الكريم فواصل هو الأولى بالقبول من تسميته بالسجع تأدبا مع كلام الله الحكيم الخبير .

---

١) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ١٧١ ، ١٧٢ .
٢) ينظر : المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ص ٥٤ .

المطلب الثاني

الفاصلة القرآنية في دراسة القدماء والمحدثين وأنواع الفواصل القرآنية

أولا : الفاصلة القرآنية في دراسة القدماء :

يرى الرماني (٣٨٦هـ) أن الفواصل هي حروف مشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عجيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها . (١)

وتحدث الإمام الباقلاني (٤٠٣هـ) عن الفواصل القرآنية بقوله : " الفواصل قد تقع على حروف متجانسة ، كما تقع على حروف متقاربة ، ولا تحتمل القوافي ما تحتمل الفواصل ، لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة ، لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي وإقامة الوزن " (٢)

ووافقه في ذلك ابن سنان الخفاجي فرأى أن الفواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة ، والآخر على الحروف المتقاربة ، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى :﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ ﴾طه: ١ – ٣ الآيات ، وكقوله تعالى : ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ ﴾الطور: ١ – ٢ الآيات ، وأما الحروف المتقاربة

---

١) ينظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٩٧ .
٢) إعجاز القرآن للباقلاني ص٣٧٢ .

فكالميم من النون كقوله تعالى :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾الفاتحة:٢ وكالدال مع الباء كقوله تعالى :﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ق:١ثم قال تعالى : ﴿ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ق:٢ وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة ، وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة . (١)

أما الزركشي (٧٩٤هـ) فقد فرق بين الفاصلة وبين السجع ، وكما ينفي أن يكون هناك سجع في القرآن الكريم ، ويرى أن الفاصلة تقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلام وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا . (٢)

وقد تحدث السيوطي (٩١١هـ) عن أنواع الفاصلة بقوله : " لمعرفة الفواصل طريقان : توقيفي وقياسي ، أما التوقيفي فما ثبت أنه – عليه الصلاة والسلام – وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة

١) راجع ذلك في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٩٨ ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ٧٨ .
٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط : دار إحياء الكتب العربية ١/ ٢٧١ .

والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها ، وأما القياسي : فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة ولا نقصان ، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل ، والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه فنقول : فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر ، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه ، فليس بعيب في الفاصلة وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة " [1]

ثانيا : الفاصلة القرآنية عند المحدثين :

قد اهتم المحدثون بدراسة الفاصلة القرآنية ومن هؤلاء سيد قطب حيث ركز على الدور الفاعل الذي تقوم به الفاصلة في أداء المعنى وتصويره فقال : " يتنوع نظام الفواصل والقوافي ، كما تتعدد ألوان الإيقاع الموسيقي ، فهل يجري ذلك على سنن خاصة ، ويؤدي إلى أهداف مقصودة ؟ ننظر في هذا الأفق الخاص من آفاق التناسق الموسيقي بعد أن ثبت وجود هذه الموسيقى ، أما نظام الفواصل والقوافي فقد لاحظنا أنه يتنوع في السور المختلفة ، وقد يتنوع في السورة الواحدة ، فأما تنوعه في السور فيختلف بالقياس إلى الفواصل بين الطول والتوسط والقصر، وهو أشبه باختلاف بحور الشعر في الديوان الواحد ، وقصارى ما يقال أن الفواصل تقصر غالبا في السور القصار ، وأنها تتوسط أو تطول في السور المتوسطة والطوال ، ويشتد التماثل والتشابه في السور القصيرة غالبا ،

---

١) الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم : ٣/ ٣٣٣ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م

ويقل غالبا في السور الطويلة ، وتغلب قافية النون والميم وقبلهما ياء أو واو على جميع القوافي في سور القرآن ، ومع ذلك تعدد الأساليب الموسيقية ، ولو تشابهت القوافي في السور المختلفة " [١]

ثم تحدث على ألوان أخرى هي أبعد وأرقى من الأولى ، فوقف على موضوع التناسب الإيقاعي ، حيث أشار إلى أن في القرآن الكريم إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع ، يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان ، وتحدث عن نظام الفواصل وتنوعه في السور المختلفة ، وفي السورة الواحدة ، تبعا لتنوع المواقف والأغراض .[٢]

كذلك وقف الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) على مدى أهمية الحروف وأصواتها وتحدث عن المناسبة في الفاصلة القرآنية حيث قال : " وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد ، وهو كذلك طبيعي في القرآن ، فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه ، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي ، وانصرف اهتمام الرافعي إلى أمرين :

---

١) التصوير الفني في القرآن ، د/ سيد قطب ص ١٠٧ ط : دار الشروق ١٤٠٨ه ١٩٨٨م .
٢) التصوير الفني في القرآن ص١٠٧ ط: دار الشروق ١٩٨٨م .

الأول : تناسب الأصوات ، فأوضح بطريقة تطبيقية كيف تتناسب الأصوات والحروف والحركات في النظم القرآني .

الثاني : جمال تناسب الفواصل ، انتبه الرافعي إلى فواصل القرآن الكريم ، فأكد قيمتها في جمال النظم الموسيقي ، فأشار إلى أنها متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا ، يلائم نوع الصوت الذي يساق عليه ، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وها الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد ، وهو كذلك طبيعي في القرآن ، ثم يقول : " وانفرد القرآن بهذا الوجه المعجز ، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره ، أو أقحم معه حرف آخر ، لكان ذلك خللا بينا في نسق الوزن ، وجرس النغمة ، في حسن السمع وذوق اللسان ، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف " (١)

ثالثا : أنواع الفواصل القرآنية

تعددت الفواصل القرآنية في أنواعها وصورها وأشكالها على النحو التالي:

أولا : الفواصل المماثلة بالحروف : وهي التي تبلغ درجة التماثل في الوزن وحرف الروي : قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ الشرح: ١ – ٤ ، وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ ﴾ عبس: ١١ – ١٢ ، ﴿ فِيهَا سُرُرٌ

١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الغاشية: ١٣ – ١٤ فقد اتفقت الكلمتان : مرفوعة وموضوعة في الوزن والحرف .

ويمكن القول : إن هذا النوع من الفواصل يكثر في قصار السور خاصة في جزء عم فإن فواصله متماثلة في معظم سوره .

قال تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾ الفجر: ١ – ٥ وقال تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ ﴾ التكوير: ١ – ٤، ومن هذا النوع جاء قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ الطور: ١ – ٤

ثانيا : الفواصل المتقاربة في الحروف : وهي التي تتفق في الوزن دون حرف الروي : قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ التكاثر: ٥ – ٨

قال تعالى :﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾الماعون: ١ - ٧ للتقارب بين الميم والنون في المقطع .

ثالثا : الفواصل المطرفة : وهي التي تتفق في حرف الروي فقط دون الوزن ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ العصر: ١ – ٣ وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾الماعون: ٤ – ٧

رابعا : الفواصل المنفردة : وهي ليست متماثلة ولا متقاربة ، فقد تأتي السور القرآنية كلها على نسق معين ، وتأتي فيها آية واحدة لها فاصلة مختلفة منفردة كالفاصلة التي على حرف الثاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى: ١١ حيث لا توجد فاصلة على حرف الثاء غير هذه الآية في تلك السورة ، وكذلك الفاصلة التي على حرف الهاء ، فلا توجد في غير هذه الآية ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ

﴿ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ الانفطار: ١٩ ، وكذلك الفاصلة التي على حرف الميم ، قال تعالى :﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾عبس: ٣٢ حيث لا توجد فاصلة بحرف الميم في غير هذه الآية في تلك السورة ، وتلك أدلة على ثراء التعبير القرآني بنواح صوتية متنوعة في سائر آياته وسوره مع ارتباط الفواصل بالمعني .[١]

خامسا : الفواصل المتوازنة ، وهو أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، قال تعالى :﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾الغاشية: ١٥ – ١٦فقد اتفقت الكلمتان مصفوفة ومبثوثة في الوزن فقط . [٢]

أنواع الفاصلة القرآنية حسب السياق :

والمراد به علاقة الفاصلة بقرينتها . فقد أطلق عليه العلماء : ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام . يقول الزركشي : " واعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ومنه من ما يستخرج بالتأمل للّبيب ، وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير " [٣]

---

١) دلالة الأصوات في فواصل الآيات دراسة تحليلية د/محمد رمضان ، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)المجلد١٣ العدد٢ ص ٦٧ يونيو ٢٠٠٩ م ص ٧ .
٢) ينظر : المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ص ٥١ .
٣) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٧٨ .

والفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديرا ، وإن كان في أثناء الصدر سمي توشيحا ، وإن أفادت معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام سمي إيغالا ، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما صدره يدل على عجزه ، والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية ، ويمكن تفصيل هذه الأمور الأربعة كالتالي :

١- التمكين : وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها غير نافذة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما ، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم ، كقوله تعالى :﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد: ١ فكلمة (وتب) قد جاءت مستقرة في موضعها غير قلقة ، وذلك لأنها سبقت بفعل من جنسها (تب) ، لذا جاءت الفاصلة القرآنية متمكنة في موضعها .

٢- التصدير : وهو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية كما في قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الزلزلة: ١ فقد صدر للفاصلة القرآنية بفعل من جنسها (زلزلت) ثم ختمت الآية بالمفعول (زلزالها) .

وقد قسم ابن المعتز التصدير ثلاثة أنواع هي :

_ أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر : قال تعالى :﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ﴾الطارق: ١ – ٢ .

_ أن يوافق أول كلمة منه : قال تعالى :﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴾ النبأ: ٢٨

وقوله تعالى :﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾الغاشية: ٢١ .

_ أن يوافق بعض كلماته ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴾ الفجر: ١٥ .

٣- التوشيح : سمي بهذا الاسم لأن الكلام نفسه يدل على آخره ، نزل المعنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح ، ولهذا قيل إن الفاصلة تعلم قبل موضعها ، وسماه بعض العلماء بأنه مطلع لأن مطلعه يدل على عجزه ، قال تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾العلق: ١ فجملة (باسم ربك) قد جعلت القارئ أو المستمع يتنبأ بالفاصلة (الذي خلف) ، لأنه لا يعظم ولا يقرأ باسمه في كل الأحوال إلا رب عظيم خالق لجميع ما في الكون .

٤- الإيغال : سمي بذلك لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه ، وبلغ إلى زيادة على الحد ، [1] قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

١) راجع ذلك في البرهان في علوم القرآن : ١ / ٧٨ ، ٧٩.

مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ البينة: ٥ ـ ٦ فالآية الأولى جاءت جملة الفاصلة (وذلك دين القيمة) تأكيدا لما ورد قبلها من الجمل الشارحة لأسس هذا الدين في قوله (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ، فقد جاءت الفاصلة القرآنية زيادة في المعنى .

أما الآية الثانية فقد جاءت الفاصلة (أولئك هم شر البرية) إجمال في الحكم لما ذكر قبلها (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) فهم لم يستحقوا التخليد في النار إلا لأنهم من أشرار الخلق .

المطلب الثالث

تناسب الفاصلة القرآنية من الناحية الصوتية والدلالية مع السياق

من أهم الخصائص التي تميز بها القرآن عن كل كلام بليغ أنه يجمع بين الوفاء يحق المعنى في أقل الألفاظ في أجمل التعابير ، وأنه استمر على ذلك من أوله إلى آخره ، وتأتي الفاصلة التي هي جزء من الآية جامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى بإحكام ، ولا يجوز أن يقال إن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة لتناسب الفواصل وحده ، ولا لبلاغة المعنى وحدها ، بل الذي يليق بكماله أن يقال : إنه يختار ما يختار من ذلك لأنه الأبلغ في موضعه ، والأوفق في نسقه ، وهذا ما يتضح لنا في سائر نظم القرآن الكريم .

وتكاد الفاصلة القرآنية تحقق جرسا خاصا ووقعا موسيقيا له مكانته الإيقاعية ، والفاصلة في القرآن الكريم ليست كالقافية في الشعر تقاس بالتفعيلة والأوزان ، بل الفاصلة طليقة من كل قيد ، وألفاظها بمعزل عن كل قيد ، وهي مرتبطة كل الارتباط بالمعنى . [1]

يقول السامرائي : لا يراعي القرآن الكريم الفاصلة ، بل قد تأتي مغايرة عن غيرها ، وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى، كما ورد في سورة الانشقاق ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ الانشقاق: ١٤ ، فلو قال (يحورا) لتغير المعنى ، وفي هذا دلالة على أن

١) راجع ذلك في : التكرار في الفاصلة القرآنية د/ فيصل حسين غوادرة ص ١٠ .

القرآن يراعي المعنى قبل مراعاة الناحية اللفظية ، وذلك لأن الألفاظ المكررة ممثلة لجوهر المعنى .

وقد تفرض الفاصلة نفسها فرضا بيانيا قاطعا دون النظر للملائمة الصوتية ، كما في فاصلة (المقابر) في قوله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾التكاثر: ١ – ٢ ، ولا يشترط في الفاصلة أن تكون دائما تامة المعنى ، فقد تكون متعلقة بما قبلها أو بما بعدها كما في قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾العلق: ٩ – ١٠

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾النازعات: ٢٥ قدم نكال الآخرة على نكال الأولى ، وفيه تقديم المتأخر زمنا وقد قدمه لأنه أشد وأبقى ، وهو النكال الحقيقي الذي يأخذ الطغاة والعصاة ، ولأنه الأنسب للسياق الذي يتحدث عن الآخرة ويجعلها موضعه الرئيس ، ولأنه يتسق لفظيا مع الإيقاع الموسيقي في الفاصلة ، بعد اتساقه معنويا مع الموضوع. (١)

وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة: ٦– ٨ ، قد استوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه في

١) ينظر : التناسب البياني في القرآن ، دراسة في النظم المعنوي والصوتي د / أحمد أبو زيد ص٣٦٩ ط : مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء .

قولـه تعـالى : (يومئـذ يصـدر النـاس أشـتاتا ليـروا أعمـالهم) ، ثـم يـأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وحسنا في قولـه تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فقد اتسقت الفاصلة لفظيا بعد اتساقها معنويا .

وفي قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ ﴾النبأ: ١ ــ١١ لما انتهى في بداية الآيات عن جدل أولئك المشركين أخـذت الفواصـل القرآنيـة بـالتغير مـن النـون (يتسـآءلون ، مختلفـون ، سيعلمون) إلى المد في (مهادا ، أوتادا ، أزواجا ، سباتا ، لباسا ، معاشا) عندما بدأ النسق المعنوي يتغير من الجدل إلى التقرير ، وقد ناسبت تلك الفواصل القرآنية الموضوعات التي تحويها .

وكما أن لصور المقابلة أثره على المستوى الصوتي للفاصلة في هذه السورة مثل قوله تعالى : ﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴾ النبأ: ٢٢ ، قال تعالى :﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازٗا ﴾النبـأ: ٣١ وقولـه تعـالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ النبـأ: ١٠ قـال تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴾ النبأ: ١١ إذ شكلت هذه المقابلة مقابلة لطيفة عظيمة الدلالة بين ما آل إليه مصير الطاغين من هلاك ، وبين ما آل إليه

مصير المتقين من فوز ونجاح ، وصورة التقابل الأخرى بينت حقيقة الليل كيف يخيم ويسيطر ، ويكون اللباس الساتر حيث السكون والهدوء ، وبين حقيقة النهار المضيء المليء بالحرارة والحياة .

أما التجنيس فيقول عنه الجرجاني : " فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا "[1]

ويتحقق الجناس في بعض فواصل هذه السورة ، ولكنه من نوع الجناس الناقص غير التام كما هو الحال في (ثجاجا ، وهاجا ، عذابا) وغيرها من الفواصل التي حققت تجانسا صوتيا أكثر منه حرفيا . [2]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ ﴾ النازعات: ١ – ١٤ يعلق الأستاذ سيد قطب على الفواصل القرآنية في سورة النازعات بأن هناك أسلوبين موسيقيان، وإيقاعين ينسجمان مع جوين فيهما تمام الانسجام ، أولهما يظهر في هذه المقطوعة

---

١) أسرار البلاغة : ص ٧٣ .
٢) راجع ذلك في : التكرار في الفاصلة القرآنية ص ١١ .

السريعة الحركة ، القصيرة الموجة ، القوية المبنى ، تنسجم مع جو مكهرب ، سريع النبض ، شديد الارتجاف ، والثاني يظهر في هذه المقطوعة ، الوانية الحركة ، الرخية الموجة ، المتوسطة الطول ، تنسجم مع الجو القصصي الذي يليه مباشرة في السورة حديث الكرة الخاسرة ، والزجرة الواحدة ، وحديث الساهرة على النحو التالي قال تعالى :﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ النازعات: ١٥ – ٢٥ أظن أننا لسنا في حاجة إلى قواعد موسيقية ، ولا إلى اصطلاحات فنية ، لندرك الفرق بين الأسلوبين والإيقاعين ، فهو واضح لا يخفى ، فهو كذلك منسجم في كل حالة مع الجو الذي تطلق فيه الموسيقى ، ولهذه الموسيقى وظيفة أساسية في مصاحبة المشهد المعروض في المرتين الأولى والأخرى . (١)

وفي قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ الليل: ٥

١) التصوير الفني في القرآن ص ١١١ .

١٤ – قد جاء تقديم الآخرة لتناسب ما بنيت عليه السورة من التهديد والإنذار لسوء العاقبة لمن كذب وأعرض ، والتنكيل به في الآخرة ، ولهذا أعقبها قوله : (فأنذرتكم نارا تلظى) فقدم جزاء الأشقياء على جزاء الأتقياء مكتفيا في جزائهم بإبعادهم عن النار ، على خلاف الغالب في القرآن الكريم من تقديم جزاء المؤمنين ، ومثل هذا السياق لا يفي بحق البلاغة فيه إلا تقديم الآخرة .[1]

وكما نلتفت إلى ملحظ بياني في الآية وهو العدول عما هو مألوف من تقديم الأولى على الآخرة ، وليس التعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة على الأولى ، وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى والنذير .

ونلمح في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ – ٣٠ روعة الفواصل القرآنية في ارتفاعها وانبساطها تتفق مع جو الطمأنينة في المشهد كله ، ولعل لتوازن المد إلى أعلى بالألف ، وإلى أسفل بالياء على التوالي شأنا في هذا التموج ، والياء في (عبادي) الفاصلة القرآنية توحي للسامع بأن المؤمنين هم خاصة الرحمن ، وداخلين رأسا في رحمته وفي جنته .

---

١) دلالة الأصوات في فواصل الآيات دراسة تحليلية ص ١٠ .

وإذا تأملنا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ الفلق: ١ – ٥ نجد الفواصل القرآنية في الآيات السابقة قد انتهت بحرفي القاف والدال وهي من الحروف القوية ، ولها صفة القلقلة ، ناسبت السياق الذي وردت فيه ، فقد حثت الآيات السابقات على الاستعاذة برب الفلق ، من شر الخلق بالتنكير ، وبما الموصولة الشاملة ، وفي هذا التنكير والشمول يتحقق الغموض والظلام المعنوي في العموم ، (ومن شر غاسق إذا وقب) الليل حين يدخل ظلامه إلى كل شيء ، ويمسي مرهوبا مخوفا ، ومن شر النفاثات في العقد ، وجو النفث في العقد من الساحرات والكواهن كل رهبة وخفاء وظلام ، بل هن لا ينفثن غالبا إلا في الظلام .

(ومن شر حاسد إذا حسد) انفعال باطني مطمور في ظلام النفس ، غامض كذلك مرهوب ، الجو ظلام ورهبة وخفاء وغموض ، وهو يستعيذ من هذا الظلام بالله تعالى ، والله رب كل شيء ، لذا ناسبت الفواصل القرآنية المعاني التي وردت في السياق من القوة والرهبة .

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ١ – ٦، نجد الفواصل القرآنية في

الآيات السابقة كلها قد انتهت بحرف السين ، بل انتهت بكلمة واحدة (الناس) عدا كلمة (الخناس) فالامتداد الصوتي في كلمة (الناس) وحرف السين من خصائصه التنفيس يوحي بذلك العدد اللا متناهي من البشر بأن الله هو وحده رب جميع هؤلاء الخلق وهو مربيهم وحده لا شريك له ، فالعصمة لله وحده ، والعبودية منفرد بها الله وحده دون سواه ، لذا يمكن القول بأن الفواصل القرآنية التي انتهت بها آيات سورة الناس ناسبت معناها ، وما تحمله من معاني العموم والشمول المطلق .

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ ﴾ الهمزة: ١ – ٢ فلنتأمل الآية القرآنية السابقة فنجد أن الفاصلة القرآنية (لمزة) قد استدعى مجيئها السياق ، فقد جانس بين (همزة) و(لمزة) والاختلاف بينهما فقط في حرفي (الهاء) و(اللام) كل في موقعه ، والحرفان متباعدان في المخرج الصوتي ، فالهاء من أقصى الحلق ، واللام من طرف اللسان . (١)

فيمكن القول بأن هناك تناسباً بين الكلمات ، وهي شديدة الارتباط من حيث المعنى ، كما أن الفاصلة القرآنية جاءت مناسبة في موضعها غير قلقة ، بل منسجمة تمام الانسجام .

---

١) راجع ذلك في : جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم ، أسامة عبدالعزيز جاب الله ص ١٠٥ ، ط : دار ومكتبة الإسراء ٢٠٠٨ م .

وعندما نتأمل قول الله تعالى :﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ العاديات: ٧ – ٨ نجد الفواصل القرآنية السابقة جاءت مختومة بحرف الدال ، ومن المعروف ما لهذا الحرف من خصائص صوتية وطاقات إيحائية في التعبير ، فالفواصل القرآنية بينها انسجام تام من حيث المعاني ، فقد جانس بين كلمتي (شهيد) و(شديد) ، والاختلاف بينهما فقط في حرفي (الهاء) و (الدال) كل في موقعه ، والحرفان متباعدان في المخرج الصوتي ، فالهاء من أقصى الحلق ، والدال من طرف اللسان ، وهذا النوع من الجناس يسمى الجناس اللاحق . (١)

وفي قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ عبس: ٣٨ – ٤٢ نجد الفواصل القرآنية جاءت على نسق واحد وفي كلمات متوازنة ، فالسياق قائم على التوازن بين المعاني يطوي خلفها أسرارا بلاغية ، فالسياق هنا تقليل لهذه الفئة الناجية يوم القيامة ، ومن ينعم برؤية المولى – جل جلاله – منهم فئة ذات مقام أعلى استحقت بإخلاصها هذه المنة العظمى ، ولذا كان سياق النكرة في هذه الآيات سياق تقليل ، وذلك لإبراز تميز هذه الفئات وتفردها بهذا المقام ، وهذه المكانة السامقة .

وفي المقابل الفئات التي ضلت وأضلت ، ولذا كان الأصل فيها أن تكون كثيرة في جانب أصحاب النار ، فقد جاء سياق النكرة هنا دالا على

١) ينظر : الإيضاح ومجموعة شروح التلخيص : ٤ / ٣٧٢ .

كثرة هذه الفئات يوم القيامة ، فالجزاء من جنس العمل ، لذا جاءت الجمل متوازنة ، فضلا عن ذلك توازن الفواصل القرآنية أعطى الآيات نبرا حادا في الخطاب .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾

الضحى: ٩ – ١٠، نمح تقدم المفعول به على الفعل مرتين ، وهو اليتيم في الأولى ، والسائل في الثانية ، وحقه التأخير في صناعة الأعراب ، وقد جاء ذلك مراعاة لنسق الفاصلة من جهة ، وإلى الاختصاص من جهة أخرى للعناية بشأن المقدم . (١)

وعندما نتأمل قول الله تعالى : ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾البلد: ١١ – ١٦نجد أن من أبرز الصور الاجتماعية الهادفة في سورة البلد : آيات العقبة ، وتفصيلات يوم القيامة ، في تجاوز مظاهر الغل والقيد ، ومراحل الفقر والجوع ليتم تجاوز العقبة الحقيقية في القيامة ، ولا يتم ذلك إلا بتجاوز عقبات الظلم الاجتماعي ، وتخطي مخلفات العهد الجاهلي ، واقتحام القيم التي عطلت الحياة الإنسانية عن سيرها في التحرر والانطلاق ، وهي قيم قاتلة ، وأعراف بالية نشأت عن الطغيان المتسلط ، والتفاوت الطبقي المقيت .

---

١) راجع ذلك في المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازاني ١ / ١٧٤ .

فقد حملت الفواصل القرآنية تبعا لذلك فواصل متوازنة ، ذات أصداء صوتية متلاحقة ، في رنة متقاربة ، زادها السكت رنة وتأثيرا ولطف تناغم ، وسط شدة هائلة مرعبة ، وخيفة من حدث نازل متوقع ، فالاقتحام في مصاعبه ومكابدته ، والعقبة في حراجتها والتوائها ومخاطرها ، يتعانقان في موضع يوحي بالرهبة والفزع . (١)

وإذ تأملنا قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾الفجر: ١ ـ ٤فقد حذفت الياء من (يسري) موافقة للفاصلة فيما يبدو، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ ﴾ الفجر: ١٥ ــ ١٦ فقد حذفت الياء من (أكرمن) و(أهانن) موافقة للفاصلة ، ولما في النون من الغنة عند الوقوف عليها فيما يبدو ، ويظهر أن هذا الأمر مطرد في جملة من آيات القرآن الكريم في الفواصل كما في قوله تعالى : ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾الكافرون: ٦ .

وإذا انتقلنا إلى موضع آخر من الفواصل القرآنية في قوله تعالى:﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا

١) ينظر : الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين بن علي الصغير ص ١٤٦ ، ط / دار المؤرخ العربي بيروت ٢٠٠٠ م .

ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ ﴾التكوير: ١ – ٧ نلمح أن الفواصل القرآنية السابقة قد ختمت بحرف التاء ، ويمتلك هذا الحرف طاقات إيحائية في التعبير ، والوقف جاء على ساكن مما جعل للحرف همساً عند الوقوف عليه ، على الرغم من أن السياق يتضمن الحديث عن أهوال يوم القيامة ، وما يلف الكون من سكون رهيب تنقضي فيه كل تلك المظاهر الطبيعية ، وتصير إلى التلاشي والفناء ، فالسكون في آخر الآيات ، والصوت المصاحب للتاء من الهمس ، أدعى لتأمل السامع أو القارئ إلى تلك الآيات القرآنية ، والتفكير في أحداثها مليا، لذا جاءت الفواصل القرآنية متناسبة مع سياق الآيات التي وردت بها ، وملائمة لمعانيها .

وكما أن الفواصل القرآنية بعد ذلك تأخذ في التغير من حرف التاء إلى حرف السين ، وكأن ذلك انعكاسا لما يحدث في هذا الكون من تغيرات بصفة دائمة قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾التكوير: ١٥ – ١٨ ، فصوت السين من خصائصه الصوتية التنفيس والصفير، فلعل ذلك له ارتباط بالمعني ، فالصبح عندما يظهر يجلي الظلام ، فذلك أشبه عملية التنفس التي تحدث بصفة دائمة إلى الكائنات الحية إلي أجل مسمى ، فالشهيق يملئ الرئة بالأكسجين ،ومن ثم يحمله الدم إلى الخلايا حتى تكمل وظائفها ، وتخرج ثاني أكسيد الكربون الذي ينتج بسبب الحركة ونشاط الخلايا ، فلعل الفواصل القرآنية وثيقة

الصلة بسياق الآيات المعنوي ، فقد أدت وظيفة دلالية توحي بالمعنى وتجسده في صورة ملموسة . (١)

وإذا انتقلنا إلى موضع آخر من الفواصل القرآنية في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾الأعلى: ١ - ١٩

نلمح أن الفواصل القرآنية السابقة قد جاءت على نسق معين ، فقد انتهت بامتدادات صوتية ، فلعل امتداد النفس عند النطق بالألف ، وما يصحبه من امتداد الصوت يتناسب مع أسلوب الدعوة إلى الله ، والمجادلة لأهل الباطل بالبراهين العقلية ، وما ينبغي أن يكون عليه الداعية من طول نفس ، وسعة صدر ، وامتداد الصوت وهو ينادي المشركين ومن والاهم ، ويلح عليهم بنفسه وصوته حتى يقربهم له ، ويجذب أسماعهم إليه ،

١) الصوت اللغوي في القرآن ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

ويسمعهم أقواله ، ويقنعهم بما يدعو إليه ، فيمكن القول إن الفواصل القرآنية السابقة جاءت متناسبة مع السياق العام للآيات القرآنية . (١)

وإذا تأملنا في قوله تعالى :﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ الضحى: ١ – ١١ نجد الخطاب القرآني يوجه الرسول – صلى الله عليه وسلم- إلى مجموعة من الفضائل والمكارم ، وقد انتهت بعض الآيات السابقة بفاصلة الألف المقصورة ، فكان لها أثرها في المعنى المراد ، ففاصلة الألف المقصورة قد لفت الآيات بعاطفة الرحمة والعناية الإلهية التي أحاطت برسول هذه الأمة ، وقد أخذت نبرة الخطاب تتغير في الآيات الأخيرة إلى نوع من الشدة والقوة في فاصلة الراء (تقهر) و(تنهر) فقد ناسبت السياق الذي قيلت فيه ، فقد أراد المولى – عز وجل – توجيه الرسول – عليه الصلاة والسلام – إلى مجموعة من الفضائل الخلقية تعينه في أداء الدعوة إلى الخلق جميعا .

يقول صاحب التصوير الفني في القرآن معلقا على هذه الآيات : " لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف ، والرحمة الوديعة ، والرضاء الشامل ، والشجى الشفيف (ما ودعك ربك وما قلى) (وللآخرة خير لك من الأولى) (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ثم (ألم يجدك يتيما فآوى) (ووجدك

١) ينظر : دلالة الأصوات في فواصل الآيات دراسة تحليلية ص ٢٠ .

ضالا فهدى) (ووجدك عائلا فأغنى) ذلك الحنان وتلك الرحمة ، وذاك الرضاء، وهذا الشجى تتسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى السارية في التعبير الموسيقي للحركات ، الوئيدة الخطوات ، الرقيقة الأصداء ، الشجية الإيقاع ، فلما أراد إطارا لهذا الحنان اللطيف ، ولهذه الرحمة الوديعة ، ولهذا الرضا الشامل ، ولهذا الشجى الشفيف ، جعل الإطار من الضحى الرائق ، ومن الليل الساجي ، أضفى أنين من آونة الليل والنهار، وأشف أنين تسري فيها التأملات ، وساقهما في اللفظ المناسب ، فالليل هو (والليل إذا سجى) لا الليل على إطلاقه بوحشته وظلامه ، الليل الساجي الذي يرق ويصفو ، وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف ، كجو النسيم والعيلة ، ثم ينكشف ويجلى ، ويعقبه الضحى الرائق مع (ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى) فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار ، ويتم التناسق والاتساق " [1]

وفي قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ ﴾البلد: ١ – ٦ نجد الفواصل القرآنية في الآيات السابقة تنتهي بحرف الدال ، ومن المعروف أن حرف الدال يحمل طاقة صوتية في التعبير ، وقوة إيحائية للدلالة على السياق الذي قيلت فيه ، تتناسب مع المعاني التي تدعو إلى وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل

١) التصوير الفني في القرآن ص ١٢٨ .

الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع ، وإثبات قدرة الله –تعالى – وبيان عظمته في خلقه ، وإفراده في الوحدانية ، كما هو واضح من الدال في سورة البلد ، وكذلك الإتيان بها للتعبير عن مواقف معينة تستدعي الشدة ، والتذكير في قوة الله – عز وجل - ، وعظيم قدرته .

وإذا انتقلنا إلى موضع آخر من الفواصل القرآنية في قوله تعالى :

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾

العلق: ١ - ١٩نجد الآيات القرآنية في هذه السورة قد امتازت بتنوع الفواصل القرآنية فيها ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى تنوع الموضوعات التي تعاورتها ، فقد بدأت بفاصلة القاف ، مما أعطى إيحاء قويا في الدلالة على المعنى ، وقد ناسب سياق الآيات ، فالله وحده هو القاهر القادر الخالق المنفرد بخلق جميع المخلوقات ، فلا بد من صرف العادة له وحده دون سواه (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق)

ثم توالت الفواصل القرآنية المنتهية بألف المد ، فلعل امتداد النفس عند النطق بالألف وما يصحبه من امتداد الصوت يتناسب مع أسلوب

الدعوة إلى الله ، والمجادلة لأهل الباطل بالبراهين العقلية ، وما ينبغي أن يكون عليه الداعية من طول نفس ، وسعة صدر ، وامتداد الصوت ، وهو ينادي المشركين ومن والاهم ، ويلح عليهم بنفسه وصوته حتى يقربهم له ، ويجذب أسماعهم إليه ، ويسمعهم أقواله ، ويقنعهم بما يدعو إليه ، قيمكن القول إن الفواصل القرآنية السابقة قد ناسبت سياق الآيات ، مما زاد في إيحائها ودلالتها على المعنى .

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤، نلمح في الخطاب القرآني السابق أن الآيات حملت دلالات عديدة ، فالله تعالى هو الصمد الباقي بعد خلقه ، وهو المكتفي بذاته وجلاله وعظمته ، المدبر لشؤون الكون بأسره ، ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة ، فهو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه ، فمعاني الآيات السابقة تحمل دلالة القوة والعزة والجبروت والقدرة المطلقة ، والتصرف التام ، إذا ما تعاورنا الآيات السابقة وجدنا حرف الدال يمثل فواصل تلك الآيات ، ومن المعروف ما لهذا الصوت من خصائص صوتية موحية ، فقلقلة الدال تهتز معها الحبال الصوتية ، وهو من الأصوات القوية ، فيمكن القول إن هناك مناسبة كبيرة بين الفواصل القرآنية السابقة ، وبين السياق الذي وردت فيه .[1]

١) راجع ذلك في : روح المعاني للألوسي : ٣٠ / ٣٨٧ ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي : ٣٠ / ١٩٨ ، وتفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٨٧ .

ونلحظ في سورة العاديات كذلك تصويرا صوتيا موازيا ومقاربا للتصوير التعبيري في وصف الخيل في غاراتها ، فصوت الحاء يحدث ذبذبة في الأوتار الصوتية ، وذلك في الآيات الثلاث الأولى في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ ﴾ العاديات: ١- ٣ وهي آيات قصيرة سريعة متساوية في الطول والنغمة والوزن .

وفي سورة الشمس في قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ الشمس: ١ إلى آخر الآيات جاءت فواصل السورة جميعها على نمط واحد وهو الألف المسبوقة بالهاء ، ونجد أن الله – عز وجل – رغم أنه قد أقسم بظواهر كونية وطبيعية ، وتحدث عن النفس وقصة ثمود ، إلا أن السورة احتفظت فواصلها بنفس الوزن واللحن ، الذي يتناسب مع ما عرض في هذه السورة من ظواهر كونية ، توجب على الإنسان أن يقف طويلا متأملا متدبرا متفكرا، وهو ما حققته هذه الفاصلة .

وتنتشر صور التقابل في هذه السورة الكريمة ، لما لصبغة المقابلة من أثر في نفس القارئ أو المتلقي ، لأنها تجعله يعقد مقارنة أو مقابلة بين أمرين أو شيئين ، وهذا مما يزيد الإنسان المؤمن تفكرا في عظم النص القرآني وإعجازه ، ونجد مثل هذه الصيغة قد غطت ثلثي هذه السورة الكريمة ، حيث كل آيتين متتاليتين تتقابل بعضها ببعض . (١)

١) راجع ذلك في التكرار في الفاصلة القرآنية ص ١٩ .

وفي قوله تعالى :﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾

الضحى: ١ – ٣ نجد أن فاصلتي الضحى وسجى قد وضعتا إطارا عاما للصورة ، فجاء هذا الإطار متناسقا مع الجو العام لها ومع جزئياتها ، ومع الإيقاع الموسيقي المنبعث منها ، ونجد أن معظم الفواصل القرآنية السابقة قد تحقق فيها صفة لزوم ما لا يلزم وهو أن يجئ قبل حرف الروي – أو ما معناه من الفاصلة – ما ليس بلازم في فاصلتين متجاورتين أو أكثر مثل قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ ﴾الضحى: ٩ - ١٠

ونجد تناسقا موسيقيا بين كلمة التين في سورة التين وبين آخر كلمة الحاكمين ، غير أننا نجد كذلك تناغما دلاليا بين ما أقسم الله به وبين آخر آية في هذه السورة ، حيث يفهم المتلقي العلاقة بين القسم في بداية السورة ، وبين نهاية السورة حيث قال تعالى : ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾

التين: ٨ فالله – عز وجل – هو الذي أنعم على الإنسان بنعمة العقل والإيمان والهداية .

وفي سورة الغاشية نجد لصيغ التقابل من خلال هذه الفواصل وآياتها حضورا في هذه السورة وذلك مثل قوله تعالى :﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾الغاشية:٢ فهي تقابل قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴾ الغاشية:٨ ، وهذا التقابل في صور النعيم والعذاب يوم القيامة نجده مكررا في سور قرآنية كثيرة ، فقلما تخلو صورة من صور النعيم الذي يلاقيه المؤمنون في

الجنة ، سواء أكان حسيا أو نفسيا ، من صورة أخرى تقابلها لعذاب أهل النار حسيا أو نفسيا .

كذلك نجد التقابل في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ الغاشية:

١٨ وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾الغاشية: ٢٠ ، وغيرها كثير

، كما نجد تعدد أنماط الاستفهام وتلاؤمه مع ما ابتدأت به هذه السورة ، ليصل تكراره إلى ست مرات ، أولها ب(هل) ثم ب(الهمزة) وبعدها ب(كيف) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وبعد

فيعد هذه الدراسة البلاغية التحليلية للفاصلة في القرآن الكريم يمكن أن نجلي بعض الحقائق التالية :

_ الفواصل القرآنية تتناسب مع معاني الآيات القرآنية تناسبا تاما ، وهي خادمة للمعنى ، وليست قاصرة على الجمال اللفظي فقط ، بل تخدم المعنى وتدعمه .

_ ففي الحديث عن الفاصل القرآنية في قوله تعالى : (تلك إذا قسمة ضيزى) نلمح أن غرابة اللفظة (ضيزى) أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها المولى – عز وجل - ، فضلا عن أنها وصفت حالة التهكم في إنكاره بهذين المدين من الأسفل إلى الأعلى أي من الكسر إلى الفتح ، فهي ليست قاصرة على الجمال اللفظي فقط ، وإنما جاءت لتخدم المعنى وتدعمه.

_ ورأينا كيف عدل النظم القرآني عن مراعاة الفاصلة عندما تطلب المقام والسياق ذلك في آخر سورة الضحى في قوله تعالى : (واما بنعمة ربك فحدث) ولم يقل : (فخبر) ليكون ذلك حديثا عنده لا ينساه ، ويعيده مرة بعد مرة .

_ التكرار الأكبر في فواصل الآيات القرآنية التي تم الاستشهاد بها كان لصوت الألف ، وهو ما يتناسب مع قوة المعاني خاصة السور المكية ، التي يغلب على موضوعاتها الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، وإثبات الرسالة ، وإثبات البعث والحساب ، وذكر القيامة وهولها ، والنار وعذابها ، والجنة ونعيمها ، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية ، وما ينبغي أن يكون عليه الداعية بنفسه وصوته حتى يقربهم له ، ويجذب أسماعهم إليه ، ويسمعهم أقواله ، ويقنعهم بما يدعو إليه .

_ كذلك نلمح أن فاصلة الدال من الفواصل التي كثر ترديدها ، كما في سورة الإخلاص ، فهي تتناسب مع معاني الآيات .

_ رأينا كذلك كيف تتنوع الفواصل القرآنية في السورة الواحدة ، ولا تسير على نسق معين ، وذلك حسب تعدد موضوعاتها .

_ يمكن القول أن الفواصل القرآنية غالبا ما تختتم بحروف ذات دلالة قوية، مما يدل على تناسبها مع مضمون الآيات .

_ وتوصي الدراسة الباحثين والدارسين بالخوض في غمار دراسة الفواصل القرآنية من الناحية الصوتية والتعمق في دلالاتها وخدمتها لمعاني القرآن الكريم فهو مجال خصب في حاجة إلى الكثير من الدراسات المتخصصة التي تجمع بين الدراسة الصوتية والدلالية والبلاغية التي تخدم المعنى وتجلي الإعجاز القرآني .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم .

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله.
- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م
- إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ، ت/ السيد أحمد صقر ، الناشر : دار المعارف مصر ط الخامسة ١٩٩٧ م .
- إعجاز القرآن ، فضل حسن عباس ط: دار المعرفة بيروت .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، تعليق : نجوى عباس ، ط : مؤسسة المختار ١٩٩٨ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ت د/ محمد عبد المنعم خفاجي ط دار الكتب العلمية بيروت.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦ه ١٩٥٧م .
- البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني د / تمام حسان ط عالم الكتب القاهرة ١٩٩٣ م .
- التصوير الفني في القرآن د/ سيد قطب ط : دار الشروق ١٤٠٨ه ١٩٨٨م .
- تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ط الدار التونسية للنشر،

- التكرار في الفاصلة القرآنية د/ فيصل حسين غوادرة ط مكتبة المعارف ٢٠١٣م .
- التناسب البياني في القرآن ، دراسة في النظم المعنوي والصوتي د / أحم أبو زيد ، ط : مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء .
- جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم ، أسامة عبدالعزيز جاب الله، ط : دار ومكتبة الإسراء ٢٠٠٨ م .
- دلالة الأصوات في فواصل الآيات دراسة تحليلية د/محمد رمضان ، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)المجلد١٣ العدد٢ يونيو ٢٠٠٩ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي ط دار إحياء الكتب العربية .
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م -١٤٠٢ شروح التلخيص في علوم البلاغة ط دار إحياء التراث العربي١٩٨٧م .
- الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين بن علي الصغير ص ١٤٦ ، ط / دار المؤرخ العربي بيروت ٢٠٠٠ م .
- فتح القدير للإمام الشوكاني " : دار إحياء الكتب العربية ١٩٨٣ م.
- لسان العرب لابن منظور ، ط: دار إحياء الكتب العربية ١٩٧٨ م .

- مباحث في علوم القرآن ، مناع بن خليل القطان ، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م .
- المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازاني ط دار الكتب العلمية بيروت .
- المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، دراسة تطبيقية لسورتي الأحزاب وسبأ د/ محمد يوسف هاشم السيد رسالة ماجستير .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ، ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ م .
- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ت / محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله أحمد ط : دار المعارف بالقاهرة.